خطبة الجمعة: 3-10-2010 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع))

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد..

فيا عباد الله:أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته، فإنه من أطاع الله في هذه الدار نجى في تلك الدار، وإنه من عصى الله في هذه الدار وأصرّ على معصيته، فحاله غير حال النجاة في تلك الدار.

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: 7].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبرًا ضَاحِينَ، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ)).[ابن حبان وأبو يعلى]

وعند البيهقي زيادة:((فتقول الملائكة: إن فيهم فلاناً مرهقا، قال: فيقول الله عز وجل قد غفرت لهم)). مرهقا: يعني مليئاً بالذنوب والعيوب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**صيامُ يومِ عرفةَ: إِني أحْتَسِبُ على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي بعدَه والسَّنَّة التي قبلَهُ**)).[الترمذي]

في الحج أيها الإخوة مشروع عددٌ من الخطب، وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه عندما حج حجته الفريدة صلى الله عليه وسلم خطب بهم في عدة مواطن، لكن الخطبة الجامعة والفاذّة والمتفق عليها عند العلماء، هي خطبة يوم عرفة.

وقد سمّيت في كتب السيرة (**خطبة الوداع**) لأنها جاءت في حجة الوداع.

سأخطب بكم اليوم:

((خطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم))

التي خطبها بالناس يوم عرفة، وهي خطبة جامعة فاذة، فيها أصول أربعة من أصول الإسلام الحنيف، وفيها خاتمة مؤثرة.

قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يرويها الإمام مسلم:

✓ الفقرة الأولى:

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ-أي الثارات التي كانت في الجاهلية-، **وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ....**

النبي صلى الله عليه وسلم أخواله بالرضاع من بني سعد، هو رضع عند حليمة السعدية، فهناك طفل من بني سعد قتلته قبيلة هذيل، فبنو سعد لهم ثأر عند بني هذيل ويريدون أن يثأروا منهم بدماء كالدماء التي أهريقت من بني سعد، فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو منسوب إلى أخواله السعديين، قال: أول ثأر أضعه ثأرنا، نحن لنا ثأر عند هذيل، لكن هذه عادة جاهلية أضعها تحت قدمي.

✓ **الفقرة الثانية:**

((...وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ...)) الربا عادة جاهلية.

والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يداين الناس بفائدة، يعطيه قرضاً مائة ألف يقول أربعة بالمائة، خمسة، عشرة بالمائة، هكذا كان يتعامل العباس، النبي صلى الله عليه وسلم قال: الربا من أمر الجاهلية، ألقيه تحت قدمي، وأول ربا أضعه ربانا، حتى ما تقول هذا شرعٌ لغيرنا، سأبدأ بنفسي، ربا عمي العباس موضوع، كله موضوع، ما أحد يرد له الفوائد، رد له فقط رأس المال.

✓ **الفقرة الثالثة:**

((...فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ....)).

✓ **أما الفقرة الرابعة:**

((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ)).

✓ **ثم تأتي الخاتمة المؤثرة:**

قال: ((وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

انتهت الخطبة أيها الإخوة.

في هذه الخطبة كما سمعتم أربع فقرات مهمة جداً في الدين، وخاتمة مؤثرة.

الفقرة الأولى:

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))

فلا يجوز في الإسلام الاعتداء على الآخرين، وتعتبر حرمات المسلمين كحرمة الكعبة، مال أخيك المسلم حرام عليك كما أنه يحرم عليك الاعتداء على الكعبة، والاعتداء على الشهر الحرام، والاعتداء على البلد الحرام.

كل من أكل مال أخيه ظلماً فكأنه سرق من الكعبة جزءاً، كل من أكل مال أخته في الإرث فكأنه سرق مالاً من المسجد الحرام، حرمة دماءكم كحرمة يومكم هذا (**يوم عرفة**) أفضل يوم عند الله، في شهركم هذا في بلدكم هذا (في مكة) فلا يجوز في الإسلام أيها الإخوة الاعتداء على الدماء أو الأموال أو الأعراض.

شاب في الثامنة والعشرين من عمره، له عمة طاعنة في السن، وحيدة بلا زوج ولا أولاد، تسكن بيتاً خاصاً بها ورثته عن والدها، ما زال يتودد لعمته ويخدمها ويتلطف بها، ويطلب إليها أن تسجل البيت باسمه في دائرة الطابو، ليفيد منه في زواجه إذ لا حيلة له ولا مال، حتى نزلت المسكينة على رغبته، وجعلت البيت باسمه.

فلما فعلت، ومر عام على الأمر، أخرجها من البيت لتودع في دار رعاية المسنين.

....**وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**)) هذا الشاب اعتدى على الكعبة، واعتدى على المسجد الحرام، واعتدى على يوم عرفة، واعتدى على البلد الحرام.

راود شاباً فتاة عن نفسها، ولا زال بها، حتى نزلت على رأيه، ووعدها أنها إن مكنته من نفسها بأنهما سيتزوجان، ويبنيان بيتهما ليعيشا فيه في أسرتهما الجديدة، ثم إنه أخذ منها ما حرم الله، ومضى إلى غير رجعة.

إن أعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا.

هذه العبارة افتتح فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أيها الإخوة أعظم خطبة له، في أعظم يوم، وفي أشرف مكان.

العبارة الأولى:

حرام أن يعتدي رجل على آخر لا في مال ولا في عرض ولا في دم ولا في نفس.

۞ الفقرة الثانية:

((أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ))

الربا من أمر الجاهلية، والدماء والثارات من أمر الجاهلية، والتبرج في الطرقات من أمر الجاهلية، والعلاقات غير المنضبطة بالشرع بين الرجال والنساء من أمر الجاهلية، كل شيء من أمر الجاهلية، عادات الجاهلية أفكار الجاهلية، مظاهر الجاهلية تحت قدمي المسلم.

الربا، والثأر، وتبرج النساء، والعلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء، والموائد التي تدار عليها الخمور، وحفلات المجون، وطاولات الميسر والقمار، كل هذا وأشباهه يرميها المسلم وراء ظهره وتحت قدميه لينطلق إلى الله تعالى.

لأن المؤمن لا يكتمل إيمانه ولا يصح إيمانه حتى يكفر بالجاهلية ويؤمن بالله.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256].

إن شهادة الإسلام أيها الإخوة: لا إله إلا الله.

أولها: نفي، لا إله، أن تنفي الألوهية والمرجعية والاعتماد عن أي مخلوق من المخلوقات، ثم تثبتها لله تعالى، ولا يصح إثباتك إلا بعد النفي.

(لا إله إلا الله).

من قال أنا أؤمن بالله وسكت عن كفره بغير الله لم يصح إيمانه، والمشركون كانوا يؤمنون بالله، لكنهم كانوا يؤمنون مع الله بآلهة أخرى، فجاء الإسلام ليعلنها (لا إله إلا لله).

فعادات الجاهلية موضوعة تحت قدمي المسلم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفقرة الثالثة:

((فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ))

وهي الوصية بالنساء خيراً، دعماً للعلاقات الأسرية، واهتماماً من الإسلام الحنيف بالمرأة، المرأة الأم، والمرأة البنت، والمرأة الأخت، والمرأة الزوجة.

إن أسمى ما يتوقع أن يصل إليه اليوم دعاة المساواة ـ أيها الإخوة ـ بين الرجل والمرأة، أن تصير المرأة مساوية للرجل، في الحقوق والواجبات، والمنح والاستحقاقات والمسؤوليات، لكن ما أعطاه الإسلام للمرأة المرأة الأم، والأخت، والزوجة، والبنت، أعلى من هذا بكثير، وأغلى من هذا بكثير.

واسمعوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولتسمع النساء، وليسمع من يدعون للمساواة.

النبي صلى الله عليه وسلم عندما يدعو الابن الرجل إلى لزوم خدمة أمه والتواضع لأمه، ليدخل بهذا البر، والخدمة، والتواضع الجنة، وتكون الجنة عند أقدام الأمهات.

إنها الأم في الإسلام، يتمنى أحدنا أن يقبل رجلها.

عن طلحة بن معاوية السلمي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد.

قال:((أمك حية)).**فقلت: نعم.فقال النبي صلى الله عليه وسلم:**((الزم رجلها، فثم الجنة)). [الطبراني وابن ماجة].

لا يحلم من يريدون مساواة بين رجل وامرأة أن يصلوا إلى هذه الرفعة للمرأة، وها هو صلى الله عليه وسلم يجعل رعاية المرأة البنت أو المرأة الأخت باباً إلى الجنة، وستراً من النار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من عال ثلاث بنات، فأدبهن، وزوجهن، وأحسن إليهن، فله الجنة)) [الترمذي وأبو داود]

وفي رواية البخاري،((من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن كن له ستراً

من النار)).سواءاً ثلاث بنات أو بنتين أو بنتاً واحدة، ثلاث أخوات أو أختين أو واحدة، ثلاث عمات أو عمتين أو واحدة

الإسلام أيها الإخوة رفع المرأة مكانة ما بلغتها في الحياة الدنيا.

وهذه الفقرة الثالثة.

أما الفقرة الرابعة والأخيرة:

((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ)).

يا أيها الإخوة:

مهما رجعنا إلى القرآن في خصوماتنا، ومهما رجعنا إلى القرآن في علاقاتنا الأسرية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في معاملاتنا المالية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في دوائرنا القضائية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في عباداتنا فإن الفلاح حليفنا.

ومهما ابتعدنا عن القرآن فنحن نذهب في ضياع، فالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة سفينة نجاتنا في الدنيا والآخرة، ونحن قوم أعزنا الله بهما، ومهما أردنا العزة بغيرهما فارقتنا العزة وحالفنا الهوان.

أيها الإخوة:

هذه هي الفقرات الأربع المهمة جداً في خطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعظم يوم عند الله يوم عرفة.

ثم تأتي الخاتمة المؤثرة:

فقد أرسل الله رسوله بشيراً ونذيراً، ويظهر من الخاتمة أن النبي صلى الله عليه وسلم خائف من الله أن لا يكون أدى الذي عليه، لذلك استغل أكبر مجمع للمسلمين، وقال: يا جماعة ستسألون عني أخبروني ماذا أنتم قائلون؟

يخاف أن لا يكون أدى واجبه.

فلما قالوها: بلغت ونصحت، وأديت.

راح يشير إلى السماء وإليهم: اللهم اشهد، اللهم اشهد.

يا ترى إذا سأل الله الناس عنك: هل كنت منضبطاً في شريعته بحياتك؟ ماذا سيقولون؟

إن ألسنة الخلق أقلام الحق.

هذه هي خطبة الوداع بفقراتها الأربع، وخاتمتها.

ما المطلوب منا بعد هذه الخطبة؟

المطلوب أربعة أمور:

✓ **أولها: اجتناب الحرام**

في الدماء والأموال والأعراض، غالب نفسك مغالبة، حتى لا تقرب مال غيرك، ولا بقرش واحد، غالب نفسك مغالبة حتى تحجز نفسك عن الحرام، قل أو كثر، اجتناب الحرام، أول كلمة افتتحت بها أعظم خطبة.

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ))

✓ **ثانيها: التبرأ من الجاهلية بأفكارها**

تأتينا أفكار من الشرق ومن الغرب، تصادم القرآن حيناً وتخالف السنة حيناً آخر، اللهم إنا نبرأ إليك منها، التبرأ من الجاهلية بأفكارها ومبادئها وعاداتها ومظاهرها، ولن يستقيم إيمان المؤمن حتى يتبرأ من كل ما نهى الله تعالى عنه.

✓ **وثالثها: تقوى الله في النساء والإحسان إليهن** لأن المرأة بالنسبة لنا:أم، أو أخت، أو زوجة، أو بنت. ومهما أكرمنا هؤلاء فإن الله عز وجل يأجرنا.

✓ **والرابع والأخير: التمسك بالقرآن والسنة**.فهما سفينة النجاة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكلم، فيا فوز المستغفرين.

والحمد لله رب العالمين

www.dr-shaal.com